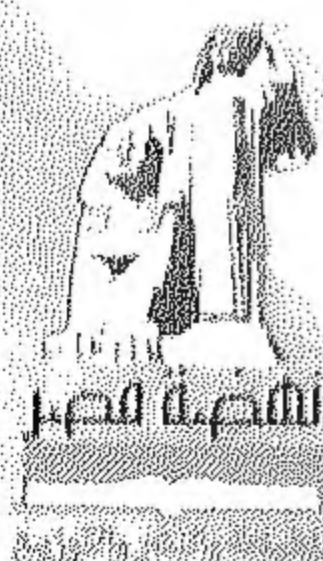




معجزات فوق قل مابل

فیر چینیا سورنسن



معجزات فوق تل «مابل»

معجزات فوق تل «مابل»

تأليف : فرچينيا سورنسن

رسوم : بيت و چو كروش



تأليف : قرجينيا سورنسن
رسوم : بيث وچو كروش
ترجمة : نبيلة النقراشي
إشراف : داليا محمد إبراهيم

Original English title : MIRACLES on MAPLE HILL
Copyright © 1989 by Virginia Sorensen. All rights reserved.
Published by arrangement with Scholastic Inc.,

ترجمة كتاب MIRACLES on MAPLE HILL تصدرها شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - بترخيص من Scholastic Inc.,

لا يجوز طبع أو تصوير أو تخزين أى جزء من هذا الكتاب سواء النص أو الصور بأية وسيلة من وسائل تسجيل البيانات، إلا بإذن كتابى صريح من الناشر.



التسجيل الدولي، 4-3039-14-977 رقم الإيداع، 2005/8289 تاريخ النشر، إبريل 2005

الإدارة العامة، 21 ش أحمد عرابي - المهندسين ص.ب، 21 إمبابة ت، 3466434 - 3472864 فاكس، 02/3462576
المركز الرئيسى، 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة 6 أكتوبر ت، 8330287 - 8330289 فاكس، 02/8330296
مركز التوزيع، 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة ت، 5909827 - 5908895 - 5898085 فاكس، 02/5903395
فرع الإسكندرية، 408 طريق الحرية - رشدى ت، 03/5230569
www.nahdetmisr.com
فرع المنصورة، 47 ش عبدالسلام مسارف ت، 050/2259675
publishing@nahdetmisr.com



جائزة نيوبرى

تقدم هذه الجائزة كل عام لأفضل كاتب للأطفال فى الولايات المتحدة الأمريكية.. والكاتب الذى يحصل عليها، يحجز لنفسه مكاناً فى قائمة أعظم الكتاب.. فهى أكبر وأقدم جائزة فى الولايات المتحدة.

وقد بدأ تقديمها عام 1922، عندما اقترح فريدريك ميلشر على اتحاد المكتبات الأمريكية إنشاء هذه الجائزة، على أن تقدم باسم جون بيرى، وهو أقدم بائع لكتب الأطفال فى القرن الثامن عشر فى إنجلترا.

يهدف الاتحاد من تقديم الجائزة إلى التشجيع على الابتكار والأفكار الخلاقة فى حقل الكتابة للشباب، سواء أكان شعراً أم رواية أم مسرحية.. كما حدد لها شروطاً كثيرة منها: أن يكون العمل منشوراً فى نفس العام، ولم يسبق نشره، كما أن الكاتب يجب أن يكون مواطناً أمريكياً.

ويفوز الكاتب بميدالية برونزية صممها بول تشامبلان، محفور عليها اسم الكاتب، وتاريخ الفوز بها.

وفى عام 1973، اقترح فريدريك ج. ميلشر تقديم جائزة كالديكوت لأفضل تصميم، أو رسم لكتاب الطفل، وسميت بهذا الاسم؛ تكريماً لرسام الأطفال الإنجليزى فى القرن التاسع عشر راندولف كالديكوت.

بعض الكتب الحائزة على جائزة نيوبرى

- 1 - صيف البجع.
- 2 - معجزات فوق تل «مابل».
- 3 - ساوندر.
- 4 - السفر فى الزمن.
- 5 - الأسير.
- 6 - راسكال.
- 7 - لعبة «ويستنج».
- 8 - سى بيسكيت.
- 9 - إيللا المسحورة.

قصص أخرى للشباب :

- 1 - الأعظم.. محمد على.
- 2 - الأخوان رايت.
- 3 - العصا.
- 4 - الخاسر.

المحتويات

1	فضاءات مُمتدة	1
13	مقابلة السيد «كريس»	2
22	تل «مابل»	3
33	المعجزة الأولى	4
44	فطائر محلاة	5
54	رحلة إلى ميدو بوتس	6
68	ثعالب	7
85	هارى الناسك	8
102	قرار مهم	9
122	«جو» يقوم بعمل نبيل فى «عيد الميلاد»	10
140	البداية مرة أخرى	11
148	القلق على السيد «كريس»	12
162	«أنى» - تحسس مسدسك	13
172	السيد «كريس» يتذوق السكر	14

إلى كل من عاونتى
هارفى كريترز
والدو باتس
ورويس مالىورى
و
العم كريس

1 فضاءات مُمتدة

قالت «مارلى»: حدثينى يا أمى عن الانطلاق مرة أخرى.
انزلت «مارلى» على مقعد السيارة؛ لتتحدث إلى أمها من فوق ياقة معطفها
وقالت: «حدثينى عن الانطلاق بنفس الطريقة التى كانت جدتك تتحدث عنه بها».
ليس ثانية يا «مارلى»، ثم من فضلك لا تتنفسى فى رقبتى يا عزيزتى.
وكانت الأم تتولى القيادة والطريق ضيقة ومغطاة بالثلوج وتثير القلق.
«فقط، حدثينى عنه مرة واحدة أخرى فقط. بالطريقة التى كانت جدتك
تتحدث عنه بها».

ولاحظت «مارلى» النظرة التى توجهت بها الأم إلى الأب، الذى كان يجلس
إلى جوارها فى المقعد الأمامى، وخمنت أن الأم كانت تخشى أن يعترض الأب
على سماع نفس الشئ مرارًا وتكرارًا.
كان أكثر إرهاقًا من المعتاد، فعندما يطلب من الأم أن تتولى القيادة، فإنه يكون
مرهقًا للغاية. والآن جلس بعينين مغمضتين وذقن مخفاة فى ياقة الجاكت.
لكن فى الحقيقة ومن أجله هو أرادت «مارلى» أن تتحدث أمها عن الانطلاق
مرة أخرى. ربما كان يظن من معها فى الرحلة أنها تجهل لماذا يتجهون إلى تل «مابل»،
ولكنها كانت تعرف، إلا أنها قالت: «مرة واحدة فقط وأعدك بأننى لن أطلب منك
هذا بعد ذلك أبدًا.. أعدك يا أمى».

لصق «چو» شقيق «مارلى» وجهه بالنافذة كالذبابة العجوز منذ بداية الطريق من مدينة «بيتسبرج»، ثم أدار وجهه كنوع من التغيير وسألها: لماذا لا تقصين هذا على نفسك؟ لقد حكى أُمى هذا ألف مرة! قالت «مارلى»: إننى أريدها هى أن تتحدث عنه مرة واحدة أخرى فقط، ولو سألتها «چو» لماذا تريد من أمهما أن تفعل هذا لما استطاعت «مارلى» أن تخبره.

والحقيقة أنه عندما تنطق «الأم» بتلك الكلمات المحددة، تعود كل المشاعر الطيبة.. ففى هذه الكلمات يوجد المنزل والباحة وتل «مابل» كلها، وتماثلاً مثل الأم تستطيع «مارلى» أن تتذكرها.

كذلك كانت الجدة موجودة بها، وبالطريقة التى وصفت بها «الأم» صوتها، مثل صوت الطائر إذا تظاهر بالنزق، رغم أنه ليس كذلك فى الحقيقة. وأيضاً كانت «الأم» موجودة بهذه الكلمات، لكن بطريقة خاصة. ليس كما هى الآن، لكن كما كانت وهى فى عُمر «مارلى».

وقد اعتادت أن تأتى كل صيف لزيارة جدتها فى تل «مابل»، هنا فى أطراف بنسلفانيا. وهناك شىء آخر لا تدركه «مارلى» وهو أن العديد من الأشياء قد توجد فى كلمات معدودة. لكن ذلك يطابق تلك الحالة التى يتركز فيها الشعور الكلى بالمدرسة فى صوت جرس يدق، أو بالطريقة التى يتركز فيها الشعور بفصل الربيع فى طائر «أبو الحناء» فوق صندوق للبريد مثبت إلى السور.

فتح الأب عينيه وقال: «لى» بوسعك أن تقوليها ونهى هذا الوضع، ولم ينظر للأم أوله «مارلى» أو لأى شخص آخر.

كان يهوى أن يقود بنفسه، خاصة عندما تكون الطريق بمثل هذا السوء. لكنه كان مرهقاً للغاية، بعد أن عاد بوقت قليل إلى البيت، وبينما كان الناس يتعجبون فى المقام الأول من عودته، بعد أن كان جندياً وسجيناً وكل الأشياء الأخرى، سمعته «مارلى» يقول لأمها: أظن أننى سأظل مرهقاً للأبد.

لكن «الأم» أجابت: بالتأكيد لن يحدث ذلك. تعرف يا «دال» كُنْتُ أفكر فى إمكانية أن نصعد إلى ذلك المكان القديم الخاص بالجدّة، «تل مابل» حيث عاشت الجدّة. إن كل ما تحتاج إليه هو قضاء بعض الوقت فى الخلاء.

بدأت «الأم» كلامها قائلة: «بصراحة يا «مارلى»، أنا لا أفهم. لكنها تنهّدت ثم بدأت تحكى. دأبت «مارلى» لفترة طويلة - عندما كانت صغيرة - على تصحيح أية كلمة للأم حتى لو كانت مختلفة اختلافًا طفيفًا؛ لذا فالآن تحرص «الأم» دائمًا على أن تنطقها سليمة تمامًا فى كل مقطع منها. وتؤكد على كل كلمة حتى تخرج قوية، كما يحدث فى نشيد الحضانة.

«انطلقا أنتما الاثنان بحق الله.. فهناك، فى الأعلى، الخلاء فى كل مكان». عندئذ رجعت «مارلى» إلى الخلف على مقعد السيارة، فإذا كان المكان كله خلاءً، فلن يكون هناك الكثير من الأماكن المغلقة حيث توجد كل المتاعب، وكان باستطاعتها أن ترى المرأة العجوز صغيرة الحجم فى ثوب أزرق ومريلة بيضاء وبيدها مقشّتها. كانت تتظاهر بأنها تُبعد الأولاد - كما قالت أمها - لأنهم يتسكعون حول البيت بعد وصولهم. وعندما ذكرت أمها ذلك لأول مرّة منذ فترة طويلة سألتها «مارلى»: «لماذا كنت تتسكعين؟ لماذا لم تخرجى لتلعبى؟»، ضحكت أمها وقالت: «أرجعت الجدّة ذلك إلى أننا كنّا محبوسين فى المدينة، وهكذا اعتدنا على وجود الجدران حولنا والأسقف فوق رؤوسنا لدرجة أن رؤية السماء والريف كانت تخيفنا بشدة، كانت الجدّة تكره المدن، ونادرًا ما استطعنا أن نقنعها بالحضور لزيارتنا. كانت تُصر على مجيئى وأخى كل صيف إلى تل «مابل»، وكانت تقول لنا: «إن المكان الوحيد الذى يستحق الاهتمام هو المكان الذى يستطيع الطفل أن يخرج فيه ويلهو كما يحلو له». الخلاء الشاسع.. حملت «مارلى» من النافذة إلى الطريق بجانبها وكذلك فعل «چو». ورجحت «مارلى» أن ذلك ربما لم يكن راجعًا إلى المدينة وحدها، فهى تتذكر أيامًا جميلة وسعيدة قضتها هناك قبل رحيل أبيها، وحتى أثناء غيابه أحيانًا.. كانت

الأم تهتم بهم كثيرًا، وكانوا يذهبون للمتحف خلال ظهيرة أيام الأحاد، أو لسماع أوركسترا «بيتسبرج» أو لرحلة فى المتنزه. كان الجميع يشعرون بالحزن من أجل «الأم»؛ لغياب «الأب» الذى لم يتوقع أحد أن يعود ثانية. لكنه عندئذ عاد.

لم تكن «الأم» تتصور أن الأمور كانت أفضل قبل عودة «الأب»، ولا يجب أن يفكر أحد فى هذا الشيء الخفيف، لكنه كان هاجسًا مقلقًا.. مثلاً: لو أن الباب ارتد خلفك بشدة، كان يصيح: «مَن الذى أغلق هذا الباب بشدة هكذا؟» وستبادر على الفور بالقول: إن الريح هى السبب. لكنك لن تجد الوقت الكافى، فلقد كانت «الأم» تتدخل سريعًا قائلة: هُس! هُس! هُس!

كل الأمور تكون أفضل فى الخلاء، كانت «الأم» تتوقع أن تكون كذلك وقد كان. فعلاً بدت الأشياء أفضل. ومن وراء النافذة ولمدة ساعتين تتابعت أكثر المناظر الطبيعية روعة؛ التلال والثلوج والأشجار العالية الضخمة وبيوت المزارعين، وأحياناً تقطعها قرية جميلة صغيرة، وتبدأ المناظر الرائعة مرة أخرى.

قالت «الأم» بقلق وقد التفتت نصف التفاتة؛ لأنها كانت ترقب الطريق فى الوقت نفسه: «مارلى»، يجب ألا تتوقعى أن تكون مثلما قلت تمامًا، فقد رحلت الجدة عن تل «مابل» منذ نحو عشرين عاماً، ويعيش العم «چون» هنا من فترة لأخرى، لكن.. حسناً، إنه مكان قديم ومهجور، ليس كتلك المزارع الجميلة على الطريق مطلقاً.

قالت «مارلى»: «أعرف ذلك»، «لكننا سوف نتدبر الأمر!»، وكانت هذه هى الكلمات التى استخدمتها «الأم»، عندما سمعتهما «مارلى» يتحدثان للمرة الأولى عنها، لكن «الأب» انتفض بنفس الطريقة التى يفعلها أحياناً، وقال: تقصدين أنكم ستتدبرون أمرى. «دال»، إننى لم أقل ذلك.

«كنت تعنيه».

قالت «الأم» وقد علت الحمرة وجهها: حسناً.. إذن، لماذا لم نقل ذلك صراحة؟ أمل أن يحدث.

كان ذلك منذ فترة قصيرة مضت، خلال عطلات الكريسماس. عندما تتوقع أن يكون كل شيء رائعًا خلال الكريسماس، وأن تتلأأ المدينة بالأضواء الملونة والأشجار المزينة في كل اتجاه. وكانت هناك أشياء رائعة معروضة في كل واجهات المحال على امتداد شوارع وسط المدينة، وجعلت موسيقى «الأرغن» الضخم — الأرصفة تبدو كما لو كانت ترتجف. لكن، في هذا العام، هناك خلل أصاب كل شيء؛ فلم يخرج الأب من حجرته صباح أول أيام الكريسماس ليرى الهدايا، وبررت الأم ذلك محاولة أن تبسم، وشرحت لنا أنه كان متعبًا ومجروحًا وأنه ليس حقيقة في محنة، لقد كان مريضًا ومحبطًا وليس غاضبًا منهم أو من سواهم، وهناك اختلاف كبير — هكذا قالت الأم. بالتأكيد كان ذلك حقًا، لكن المنزل بدا قبيحًا وضيقًا، وغادر «چو» مباشرة بعد الإفطار بصحبة رفاقه.. فخلال العطلات، كان دائمًا يجد مكانًا ليذهب إليه يوميًا. وذات مرة عندما تحدثا بشأن الذهاب إلى تل «مابل»، قال الأب: لا أعرف، هل سأستطيع القيام بذلك يا «لى».. بكل هذا الخشب الذى يجب قطعه، وغير ذلك من أشياء.

هل تظنين أننى مازلتُ قادرًا على استخدام الفأس؟

قالت الأم: بالتأكيد، ويستطيع «چو» المساعدة. إنه فى الثانية عشرة، أليس كذلك؟ وهذه هى السن التى اعتادت عندها الجدة أن تقول إن الأولاد لم يعودوا مزعجين وبدأوا يصبحون مفيدين.

«وخلال عامين سأصبح فى الثانية عشرة كذلك»، هكذا فكرت «مارلى» وكانت مستغرقة فى تخيل أكوام الخشب التى ستقطعها، وهكذا فاتها ما دار من حديث بين «الأم» و«الأب» بعد ذلك.. ووصل بها الخيال إلى تصور نفسها وهى تحاول وضع قطعة من الخشب فوق كومة أعلى من رأسها.

وعندئذ، قالت «الأم» شيئًا شيقًا ومدهشًا للغاية جعلها تنصت..

قالت: عندما كنت فتاة صغيرة أعيش عند الجدة، كنت متأكدة أن تل «مابل» هو المكان الذى حدثت به كل المعجزات.

لم يضحك «الأب»، ولدقيقة بدا الأمر وكأنهما قد حبسا أنفاسهما معًا. عندئذ، قال «الأب»: أخشى أن المعجزات لم تعد تحدث حتى فى تل «مابل». قالت «الأم»: سنكتشف ذلك. حدث ذلك مباشرة بعد «عيد الميلاد»، والآن حلّ شهر مارس، وها هم ذاهبون لاكتشاف الأمر.

قالت «الأم»: المكان ليس بعيدًا جدًّا عن هنا. والآن، بدا كل الخلاء مجرد أشجار متراصّة على امتداد الطريق، وكانت الفروع العارية من الأوراق تتدلّى وتحتكّ بالسيارة أثناء مرورها؛ فتساقط الثلوج منها. بدت أشجار الشوكران مثل مرج قد تجمد.. بدلت «الأم» ناقل الحركة، فتحوّلت السيارة إلى كتلة سوداء ضخمة من الضوضاء وسط هدوء أبيض هائل. قالت «الأم»: يا له من تل! إننى لا أثق إن كانت السيارة سوف تجتازه أم لا! انحنى الجميع إلى الأمام كما لو كان ذلك سيساعد إلى حد ما، كانت السيارة تقاوم، قالت «الأم» وقد تظاهرت بعدم القلق: لقد سمعت قصصًا عن هذه الطرق الملتوية! لكننى كنت أحضر دائمًا فى فصل الصيف ولم أصدقها أبدًا.. وعندئذ، توقفت السيارة، ثم بدأت العجلات تدور بسرعة وتزمجر. رأت «مارلى» وجه الأب صارمًا كعادته عندما يكون غاضبًا أو قلقًا، غارت وجنتاه واستطاعت أن ترى قلبه ينبض فى عنقه. داست «الأم» على دواسة البنزين ومازالت العجلات تصدر زمجرة عالية وكان للمحرك هدير مثل جرار.

تساءل «چو» متحمسًا: هل أنزل وأدفع السيارة؟ قال «الأب» بصوت غاضب: هذا كل ما نحتاج إليه. فقط أن ينزل «چو» ويدفع السيارة!

علت الحمرة وجه «چو»، بينما كان وجه «الأب» شاحبًا. أدارت «الأم» المحرك فأحدث هديرًا متزايدًا.

قال «الأب»: أوقفى المحرك.. إنك سوف تديرين العجلات فقط.
وعندما توقف صوت السيارة، ساد الصمت المكان كله فجأة . بدا كما لو كانوا
واقفين وسط الطريق، انحرفت مقدمة السيارة فى اتجاه البداية الجرداء للتل
الطويل .

قالت «الأم»: منزل «كريس» ليس بعيدًا عن هذا المكان، ويمكن أن يقطروا
سيارتنا، فالناس هنا معتادون على مثل هذه الأمور!
قال «الأب»: إننا لم نفكر حتى فى إحضار سلاسل.. أى فلاحين
سنكون؟!

بدأت «مارلى» فى الكلام بقولها: أمى... لكن «چو» قاطعها وقال ما كانت تريد
قوله إلا أنه قال : قالت «أنا» وكانت تقصد أن تقول : «نحن».
وأضاف «چو»: أمى، سوف ألبس حذائى ذا الرقبة وأنطلق؛ لأخبرهم.
قالت «مارلى»: سأذهب أنا أيضًا.

نظر «چو» إليها نظرة استعلاء وقال : «أنتِ ستعيقين حركتى» وكانت تلك
طريقته فى الحديث معها فى الآونة الأخيرة، حتى وإن لم تكن حقيقية. رغم ذلك
لم تستطع أبدًا أن تقول إنها لم تكن حقيقية؛ لأن فى كل مرة كان الأمر يتحول
إلى جدال، وكان الأب يعتقد أن كل جدال يجب أن يوقف على الفور.. وقال إن
هناك حروبًا كثيرة مشتعلة فى العالم دون أن يكون لنا دور فيها.

ترددت «الأم» ونظرت إلى الأب قائلة: «وبعد...».

قال «چو»: إن حذائى ذا الرقبة فى حقيبة السيارة.

صاحت «مارلى»: وحذائى أيضًا، أحضره لى.

قالت «الأم»: سيكون قد ابتل تمامًا حتى قبل أن يحضر حذاءه. من كان يعتقد
أن الثلوج مازالت بهذا الشكل هنا؟ كان صوتها قلقًا. لم يتفوه «الأب» بكلمة،
جلس ساكنًا، يحملق من خلال زجاج السيارة الأمامى فى التل الطويل .

قالت «مارلى» وهى تبكى: أمى.. أبى، ألا أستطيع أن أذهب أنا أيضًا؟ إنه يعرف
أننى أستطيع أن أذهب بسرعة مثله! يعرف أننى أستطيع!
قالت «الأم»: «صه الآن.. ليست هناك فائدة من موتكما من شدة البرد».
«أمى، إتنا لن...».

قالت «الأم»: لا تجادلى يا «مارلى»، أرجوك! ونظرت إليها نظرة تعنى:
لا تتحدثى فى هذا الأمر ثانية؛ كى لا ترعجى أباك مجددًا.
«أرجوك!».

«مارلى»، لقد سمعت ما قلت!».

«لكن، يا أمى...».

قال «الأب» بصوت به حدة: «مارلى» لا تجادلى!

اندفع «چو» داخل السيارة وارتدى حذاءه، وأدخل بنطلونه الجينز فى الحذاء.
تصرف «چو» وكأنه مهم للغاية.. حتى أنك لتظن أنه رئيس الولايات المتحدة أو ما
شابه ذلك.. كرهته «مارلى» لبرهة، فقد كانت تستطيع أن تذهب معه لو قال إنه
يريد، لكنه لم يعلن ذلك. كانت دائمًا تقول إنها تود أن يصحبها أينما ذهبت، وكان
ذلك حقيقياً. لكنه لم يقل ذلك أبدًا.. أبدًا.. أبدًا.. أبدًا.

همست؛ كى لا يسمع «الأب» أو «الأم»: أرجوك يا «چو».

لكن يبدو أن «چو» أيضًا لم يسمعها.. قالت «الأم»: من المحتمل يا «چو» أن
ترى بيت «كريس» عندما تبلغ أعلى التل.. إنه منزل أبيض كبير له ممشى ضيق،
ومصراع النافذة أخضر اللون، وخلفه مخزن حبوب ضخمة لونه أحمر.. إننى واثقة
أنه فى الموقع التالى. لم يوح صوتها أنها واثقة على الإطلاق.

قال «الأب»: فقط، أخبر أياً من يعيشون هناك.

قالت «الأم»: أمل أن أكون على صواب. إنهم أناس رائعون، وكانوا أصدقاء
طيبين لجدتى.. وك «چون» ولى.

خرج «چو»، وتصرف بطريقة توحى بأهميته أكثر من ذى قبل، جذب قفازيه وثبتهما فوق كُمّيه. قالت «مارلى» مرة أخرى: «أمى...». لكن «الأم» نظرت إليها بحدّة. بدأ «چو» السير، التفت إليهم ليبتسم ويلوح لهم، كرهته «مارلى» مجددًا، وربما كرهته هذه المرة أكثر، لكن بعد دقيقة كان يصعد التل بمفرده وأخذ يتضاءل ويتضاءل - بينما جلس الثلاثة صامتين يتابعونه. وعند وصوله لأعلى التل، أحبته مجددًا وفتحت الباب وقفزت خارجة إلى الممشى لتلّوح له، فلّوح لها. وبدت قبعتها حمراء وصغيرة، مثل نقطة على الطريق البيضاء فى مواجهة السماء.

قال «الأب»: أغلقوا الباب بحق السماء، لن يجدى التجمد ونحن ننتظر. وبالكاد سمعته «مارلى» وقالت: إننى أشم دخانًا، انظرا... انظرا هناك! وعلى مسافة قصيرة أعلى التل، وعلى الجانب الذى تقف قبالة، يتصاعد فى الهواء دخان أزرق لولبى الشكل، بدا جميلًا، وكان يتصاعد تدريجيًا من بين الأشجار. صاحت: أمى، هل أذهب لأرى؟ هل يمكننى الذهاب؟ نظر «الأب» و«الأم» إلى بعضهما، ونظر كلاهما أعلى التل حيث اختفى «چو». «أستطيع رؤية طريق صغيرة ضيقة تنعطف هناك، انظرا، خلفنا. إننا لم نلاحظها من قبل».

«لن تسبب ضررًا بينما نحن ننتظر هنا، أليس كذلك؟! ثم إنها لن...»، ثم توقفت عن الكلام ثم قالت تقريبًا: ثم إنها لن تكون مصدر ضوضاء أو جلبة أو عقبة فى الطريق.

فهمت «مارلى» أن نظراتهما تعنى: لمَ لا؟ فاندفعت تلبس حذاءها واقتفت آثار أقدام «چو».. والآن، جاء دورها كى تغادر وتلتفت وتلّوح لهما من الطريق قبل أن تتبع الآثار العميقة.

صاحت «الأم»: لا تبتعدى، عودى على الفور!
صاحت «مارلى»: توجد آثار حصان وأخرى لعجلات جرّار.



قال : تصورى .. إننى أناديك «لي» ! لا بد أنكِ ابنتها «مارلى»، لكنك تشبهين أمك تمامًا.. إننى السيد «كريس».

وقبل أن تجد وقتًا تقول فيه شيئًا عن السيارة أو التل أو المتاعب أو أى شىء آخر، ضحك وقال : هل تستطيعين شمّ ذلك، يا «مارلى»؟ هل حصلت على هذه النفحة من مصنع السكر تَوًا؟ لقد أخبرت زوجتى هذا الصباح أن هذا موعد حضور «لي» مع مطلع الربيع.. فهمت ما يعنيه.. كان شعورًا رائعًا للغاية، كفوحان رائحة من شجيرة زنبق. مثل المرور على بستان قد أزهروا وأينع. لكنه مختلف، روعة مختلفة.

قال السيد «كريس»: اعتادت جدتك أن تقول إن الفضاء الممتد يتمثل فى هذه الرائحة، كانت تسميها المعجزة الأولى عندما يتدفق النسغ^(*). رفعت بصرها إليه فى دهشة قائلة: إذا، هذا هو المكان الذى استمدت منه الأم فكرة المعجزات.

سأل : أين عائلتك؟ بالبيت؟

وفى دقيقتين، كانا فى طريقهما لإنقاذ العائلة.. قال إن لديه جوادين يستخدمهما لجمع النسغ من الأشجار على التلال المنحدرة، حيث لا يمكن لجرار أن يصعد على عجلات.. لكن، كان الجرار هو ذلك الشىء الذى سيعيد السيارة إلى البيت بسرعة. جلست «مارلى» بجانبه. كان الجرار يرتقى اللون وسط الثلوج وشعرت كأنها ملكة فى عربتها ذات الأربع عجلات وهى تجرهما على طول الطريق الصغيرة بين الأشجار.

(*) النسغ : سائل يجرى فى أوعية النبات حاملاً الماء والغذاء.

2 مقابلة السيد «كريس»

كانت «مارلى» تدرك أنه أمر محزن بالنسبة لـ «چو»، لكنها لم تستطع أن تتمالك نفسها من الفرح؛ لرؤيتها نظرة الدهشة تعلو وجهه. كان قد تجاوز صندوق البريد الخاص بـ «ج. كريس» عندما لحقوا به. كانت لا تزال تركب عاليًا فوق الجرار مع السيد «كريس» والسيارة وراءهما مثل كلب «بودل»^(*) مربوط فى سلسلة. نادى «چو» قائلة: لقد وجدت السيد «كريس»، رأيت الدخان ثم وجدت السيد «كريس»!

كانت تدرك أن أباهما سوف يشمئز منها بسبب تفاخرها على أخيها، ومع ذلك كان عليها أن تخبر «چو»، أليس كذلك؟ وقف وقد برزت عيناه مثل عيني قوقع. انحنى السيد «كريس» وأمسك كتف «چو» بيده الكبيرة وهزّه كما يفعل أى إنسان عند رؤية شخص يحبه ويكون مسرورًا برؤيته قائلاً: وأنت يا «چو»، كيف استطعت أن تصعد هذا التل بسرعة، لقد أخبرت أمك أن أحدًا لا يستطيع أن يفعل ذلك بدون حذاء الثلج.

ابتسم «چو» وشعر فى الحال أنه فى حالة أفضل، كان السيد «كريس» يحب أن يشعر الجميع بالارتياح. شعرت «مارلى» ببعض الخجل لتفاخرها الذى أذى «چو»، لكنها كانت تأمل أن يشعر «چو» أيضًا ببعض الخجل؛ لأنه تركها.

إن كان قد فعل، فلم يبدُ عليه ذلك، ثم قفز فوق الجرار وكاد يوقعها من عليه.

(*) بودل: كلب ذكى كثيف الشعر أجعده.



قال السيد «كريس»: انتبها! يوجد مكان للجميع.

سلكوا الطريق الضيقة إلى البيت الكبير. خرجت إلى الشرفة سيدة وقد وضعت يديها في جيب مئزرها لتدفثتهما، كان شعرها الأبيض أجمل شعر أبيض رآته «مارلى» فى حياتها. لابد أن الجدة كانت تشبهها عندما كانت «الأم» تأتى لزيارة تل «مابل». لكن هذه كانت السيدة «كريسى».

صاح السيد «كريس»: «كريسى»، إنهم هنا! اهل تعلمين.. كان على أن أساعدهم ليصعدوا هذا التل، تمامًا كما قلت أنت.. يجب أن أفعل ذلك.

مؤكد أنك ستعتقد أن السيد «كريس» والسيدة «كريسى» أقارب حقيقيون



وليسا مجرد جيران تعرفهما «الأم». كان الجميع يتعانقون ويتبادلون القبلات
ويصيح كل منهم منادياً الآخر باسمه.

«لي»! تبدين رائعة... لم تتغيري كثيراً. بالتأكيد هذه ليست «مارلى»، وكذلك
«چو».

لكننى ما زلت أحسبهما أطفالاً...

وقف «الأب» فى الخلف بمفرده، مثلما كان يفعل عادة عندما يأتى أصدقاء،
ولكن «الأم» كدأبها دائماً تلفتت بحثاً عنه، وقالت: هذا «دال».. يا «كريسى».
كانت فى صوتها نبرة مميزة، خاصة وهى تقول: هذا «دال».. غير تلك النبرة
عندما تقول: هذه «مارلى» أو هذا «چو». أحبت «مارلى» الصوت والنظرة التى بدت

قالت «الأم» وقد احمر وجهها خجلاً: مه.
همس «چو» - ولأول مرة يتفق مع «مارلى» على رأى واحد - قائلاً: لماذا يجب علينا ذلك؟ وكل هذا الطعام الذى أحضرناه...
سمعهما «الأب» وقال: اجلسا وتأدبا.. افعلما ما تقوله «أمكما».
انقضى اليوم بأكمله فى الزيارة، وكان عليهم الرحيل فى الغد.. كان السيد «كريس» وزوجته كريمين، لكن لا شىء سيبدو صحيحاً أو تم إنجازه إلا عند الوصول إلى تل «مابل».. لقد استغرق ذهابهم أسابيع من الكلام والترقب، كان أبطأ من الاستعداد لـ «عيد الميلاد»، لقد أصبح على مقربة الآن - حسبما اعتادت «الأم» أن تقول - إنه على بُعد خطوة من بيت «كريس»، لكنهما لم يرياها بعد.
«إننى لا أشعر بالجوع البتة. قد نستطيع أنا و«چو»...»
قالت «الأم» ثانية: صه. الآن.

لكن السيدة «كريسى» سمعت. نظرت إلى «مارلى» مبتسمة وقالت: لا فائدة قط من بقائكما جوعى عند وصولكما هناك، أمام أمكما الكثير لتفعله دون أن تقلق على إطعام أسرتها فى الدقائق الخمس الأولى.
كان على السيد «كريس» العودة إلى معسكر السكر لمراقبة النار، وسألت «مارلى» أمها قائلة: ألا نستطيع أن نصحبه؟ سيكون ذلك أفضل ثانى شىء.
قالت «الأم»: فيما بعد، ربما غداً، ونظرت إلى «مارلى» نظرة تعنى: كم أنت مزعجة! وهكذا شاهدوا السيد «كريس» وهو يرحل فى عربته ذات العجلات الأربع عبر الممشى، هابطاً الطريق ثم صاعدًا التل حيث اختفى كما لو كان قد سقط من سطح الأرض.

إنه رائع يا «چو».. مئات الأشجار تتدلى منها الدلاء وكأنها أساور ساحرة، والدخان يتصاعد من البيتبنى الصغير.. إنه يشبه منزل الساحرة العجوز فى قصة «هانزيل» و«جريتيل».

الطريق .. أحياناً لا يكون الكريسماس مبهجاً مثل بهجة الاستعداد له . ربما يكون التفكير فى تل «مابل» أفضل من تل «مابل» ذاته .

همست : أرجوك، دع المعجزات تحدث .

نادت «الأم» : «مارلى»، ألن تأتى ؟

قديمًا وأبدًا، فى صباح «عيد الميلاد»، تدرك «مارلى» أن عليها الوقوف على درجات السلم بحيث لا ترى غرفة المعيشة؛ خشية ألا يكون أحد قد أضاء شجرة الكريسماس؛ لأن ذلك حدث ذات مرة . وتملكها الرهبة عند دخول المنزل رغم أنها لا تعرف ما يمكن أن يكون داخله، ولا تعرف حتى ماذا ستفتقد عند عدم وجوده .

خرج الأب من الباب ونادى «مارلى» التى سمعته يقول لـ «الأم»: ما خطب هذه الطفلة؟ تأتى إلى هنا متعجلة ثم تجلس...

عندئذ خرجت من السيارة، وهى تردد نفس الكلمات مرة ثانية، وقطعت الطريق عدّوا.. ضحك «الأب» وفتح الباب على مصراعيه؛ كى تدخل المنزل وهى تعدّو.

3 تل «مابل»

بقدر ما كان هذا المنزل كثير الغبار ورائحته عفنة، فقد كان مليئًا بالكنوز. كل ما كان بوسع «مارلى» و«چو» هو أن يجريا فى المنطقة المحيطة بهما، وينظرا إلى بعضهما البعض ويصرخا.. انظرا! انظر إلى هذا!

أولاً المطبخ، كان به موقد كبير فى حجم موقد «كريسى» ويتصاعد البخار من الماء فى حوض جميل على الجانب، الذى كانت تسميه «الأم» خزانًا.. قالت «مارلى»: أمى، هذا ما اعتدت أن تستخدميه لصب ماء استحمامك منه، لقد تخيلت كيف يكون، والآن أدركت ذلك.

قالت «الأم»: «إننا نحتفظ بمياه الأمطار فيه، وهذا ما يأتى من المضخة الموجودة جانب الحوض، وذلك الماء يسير للغاية لدرجة أن حكة واحدة من الصابون تجعله ممتلئًا بالرغاوى. ومن الغريب أن تفكر فى كون الماء «يسيرًا» أو «عسيرًا»، وبدأ «چو» على الفور فى ضخ الماء من المضخة القديمة الموجودة بين الحوض وخزانة المطبخ.. لم يحدث شىء، وقالت «الأم» يا «چو»، يجب أن تصب بعض الماء فى الجزء العلوى؛ كى تعمل المضخة. وهكذا فعل.. بدأ ماء بنى اللون ذو رائحة كريهة فى التدفق، وسرعان ما أخذ لونه يبهت شيئًا فشيئًا، وطلبت «الأم» منهما أن يفرغا الخزان من الماء الأسن وأن يضخا فيه مياه الأمطار.. وقالت «الأم» لـ «مارلى»: يمكنكما أن تستحما الليلة فى ذلك الحوض القديم مثلما كنتم أفعل - إن لم يكن يسرب الماء.



تذكرت «مارلى» بعض الصور بالبيت، بينما كانت الأم تقول: نعم. لقد اعتدت الرسم كثيرًا ولكن لا يبدو أن هناك متسعًا من الوقت بعد الآن. قالت: حقًا، إنك ترسمين صورًا جميلة يا أمى. ضحكت «الأم» وهزت رأسها وقالت: فقط، إننى كنت أفكر فيما لو رسمت الآن ما نراه من خلف النافذة، يجب أن يكون بالريشة والحبر. فى الصيف، يجب أن تكون لديك كمية كبيرة من الغصون الخضراء، سترين ذلك عندما تعودين فى شهر يونية.

بالكاد سمعت «مارلى» آخر كلماتها وفتحت درج التسريحة، كانت به عائلة كاملة من الفئران الصغيرة الرائعة.. سبعة مخلوقات صغيرة عارية لونها قرنفلى، مغمضة العينين، ولها آذان منتصبه وشوارب، وأنوف بارزة وذبول مثل خيوط دقيقة.

صاحت «مارلى»: انظرى.. أليست جميلة؟! قالت «الأم» وهى تنظر إلى الداخل: يجب أن نتخلص منها. «مارلى»: لماذا يا أمى، إنها فاتنة.. قالت «الأم» بسرعة: قد تكون فاتنة الآن، لكنها لن تعيش هنا بعد الآن.. بل نحن.

قالت «مارلى»: يا إلهى، يوجد هنا مكان للجميع. قالت «الأم» وهى ترتعد: الفئران حيوانات قذرة. لم تعرف «مارلى» أبدًا متى يجب ألا تجادل، لكنها أدركت هذه المرة. قرأت هى و«چو» قصة عن بعض الأطفال كانوا يربون الفئران كحيوانات أليفة. لم تقل المزيد للأم، لكنها فكرت قائلة: سوف أتحدث إلى «چو»، وبوسعه الحصول على صندوق؛ سنعلم فيه هذه الفئران الصغيرة كيف تكون نظيفة.. مثل...، وكيف تقوم بأعمال بارعة، وبذلك ستعرف أمى كم كانت مخطئة.

الأبيض والأسود.. عندما أغلق السيد «كريس» أبواب المدفأة، ظهر وهج أحمر جميل حول الأطراف وكذلك ضوء فانوس متدلّ من عارضة خشبية في السقف المائل. كان السقف عاليًا ويبرق من البخار، وفي قدور مستطيلة على موقد ضخّم بطول مصنع السكر كان النسغ يغلى بشدة. تعالت فقاقيع مثل جواهر الكهرمان، تنخفض وترتفع، تنخفض وترتفع، وبدت الرائحة الرائعة ترتفع معها وتنطلق لتملأ الليل.

كانت ابتسامة السيد «كريس» تبدو واسعة في ضوء المصباح، مثل صورة سانتا كلوز. كان قويًا وضخمًا وطيبًا. لفّ ذراعه حول «مارلى» واعتصرها بشدة.
قال: هيا جميعكم، ادخلوا، ادخلوا!

4 المعجزة الأولى

قال السيد «كريس»: بعض الأعوام تعد جيدة بالنسبة للنسغ وبعضها ليس كذلك.. هذا العام بدأ الذوبان فى التاسع عشر من فبراير، وهذا موعد مبكر. حدث تدفق كبير. كل ما يتطلبه الأمر هو ليالٍ شديدة البرودة وأيام دافئة، ولا أحد يعلم لماذا يتسبب هذا فى خروج النسغ!

جلس «الأب» و«الأم» والسيد «كريس» والسيدة «كريسى» حول نهاية الموقد، يضحكون مثلما يضحك الناس حول النار فى رحلة خلوية. أخبر السيد «كريس» «مارلى» بأن الموقد لم يكن يطلق عليه هذا الاسم، لكنه كان يسمى «المبخر»؛ لأنه يطرد بخار الماء من النسغ بالغليان ويترك الشراب.

«تستطيع أن تضخ البترول من الأرض وكذلك الماء، لكن النسغ — لا يستطيع أحد أن يضخه، إنه يقرر إما أن يصعد أو لا».

وقفت «مارلى» بجانب القدور الكبيرة.. يمكنك أن تطيل النظر إلى الفقاقيع بشكل أعمق وأعمق وإلى الأبد، لكن نظرك سيرتفع ثانية. حاولت «مارلى» أن تراقب فقاعة واحدة بنفسها، لكنها لم تستطع. لقد ذهبت وحلت محلها فقاعة أخرى بسرعة كبيرة كما لو أن آلاف القدور الممتلئة بالشراب المسكر تغلى فى وقت واحد. كان النسغ فى القدور الخلفية يبدو كالماء الذى فى الدلاء على الأشجار، لكن فى كل قدر قريب من المقدمة، كان الماء يميل فيها إلى اللون الذهبى أكثر



صاحت: موافقة! وبدأ صوت محرك الشاحنة يعلو. ليلة سعيدة! ليلة سعيدة!
وكانت الحقول الواسعة تتلألأ تحت ضوء القمر.
كانت الغابات تبدو مظلمة ومخيفة عند أطرافها، ثم ظهر ضوء وضوء آخر..
قال «چو»: إن هذا الضوء الثانى بيتنا!
وعندما دخلوا البيت، بدأ «الأب» يغنى مرة أخرى من دون أن يسأله أحد
أو يخبره.. بدأ فجأة يغنى الأغنية القديمة التى يقول مطلعها: «ليكن دائماً
متواضعاً...».
اعتبرت «مارلى» أن هذه الأغنية معجزة هذا الأسبوع.. إنها أفضل من مصنع
السكر أو الخدعة السحرية.. فكرت فى هذا الأمر عندما نامت على السرير العتيق
حيث نامت «الأم» عليه عندما كانت فتاة صغيرة.

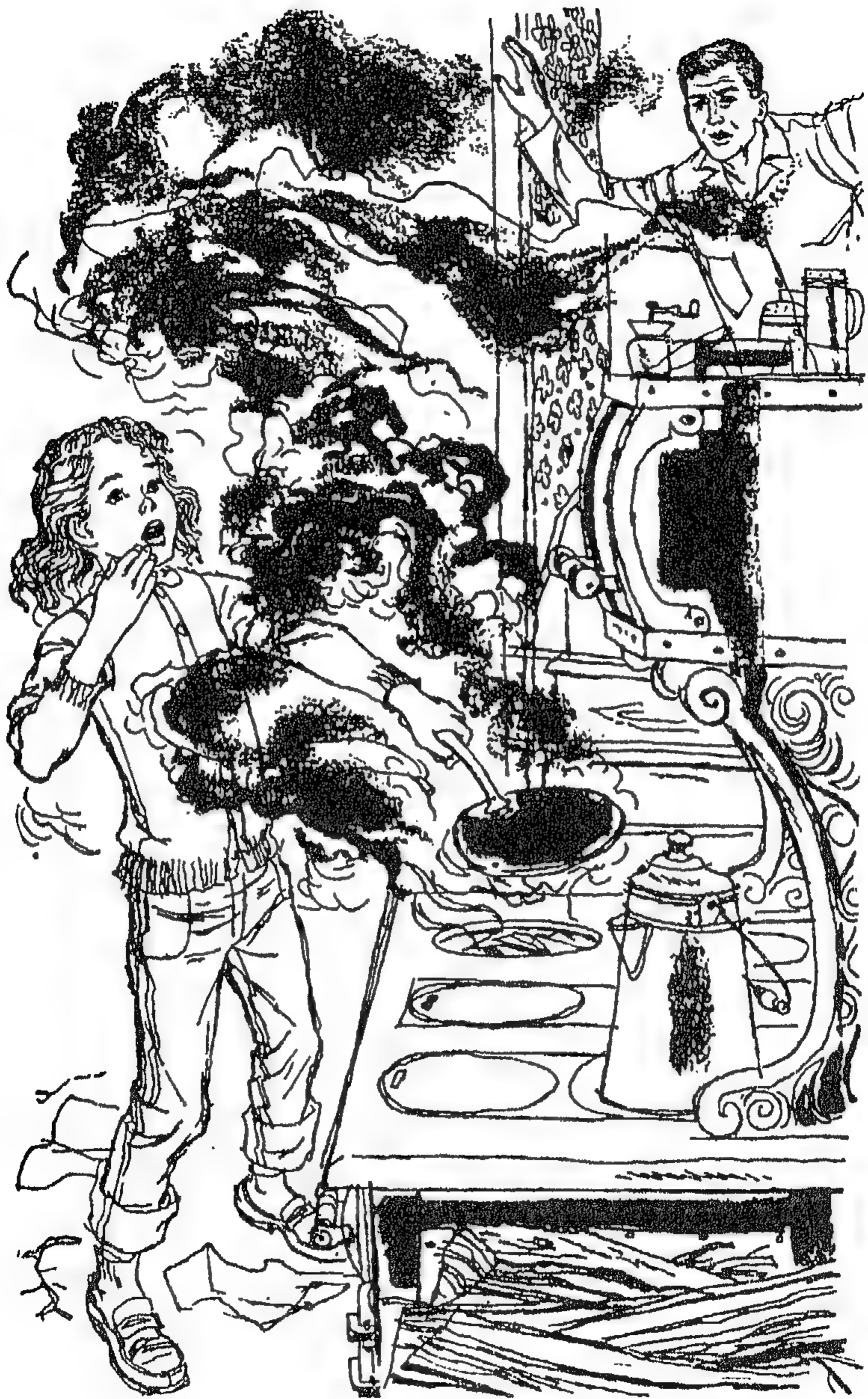
5 فطائر محلاة

أوفى السيد «كريس» بوعده - بل وأكثر - فعند بداية الربيع لم يكن حدوث معجزة واحدة كل مرة شيئاً يستحق الذكر.

فى الواقع، مر أسبوعان قبل أن تتمكن «مارلى» من العودة إلى تل «مابل» ثانية.. ففى الأسبوع الأول، أصيبت «الأم» بنزلة برد ولم تستطع قيادة السيارة لتلك المسافة الطويلة. خاطبهم الوالد من منزل السيد «كريس» وتحدث جميع أفراد عائلة السيد «كريس» إلى جميع أفراد عائلة «مارلى». قال «الأب»: إن الجو كان دافئاً لمدة يومين، وخرج للعمل فى الجو المشمس، لكن «الأم» كانت ما زالت تعاني من زكام شديد؛ لذلك لم تستطع الخروج.

بكت «مارلى»، وتساءلت: أية معجزة ستفقد؟ بالإضافة إلى أنه لم يتبق من عمليات استخراج السكر الكثير. لكن لم يستطيعوا عمل شىء بخصوص أنف «الأم» ورغم كل شىء، قالت «الأم»: «مارلى»، إنك تجعليننى أشعر بأننى أسوأ مما أنا فيه فعلاً؛ لذا لم تقل «مارلى» كلمة أخرى.

ثم هبت عاصفة ثلجية عنيفة، وفى ليلة واحدة سقطت ثلوج بارتفاع قدم.. كان شهر إبريل تقريباً.. كان الجميع يخرجون وقد حملوا معاطفهم على أذرعهم، وكان الناس يبتسمون لبعضهم البعض فى الشارع، وبدا المنتزه كما لو كان فى انتظار حدوث شىء براق فى أية دقيقة.. جفت أشجار الليلك فى الشمس، وبدأت



الخضراوات لطعام العشاء.. قال السيد «كريس»: من الأوراق كانت تصنع خضراوات رائعة، قبل معرفة السبانخ، جاءت الأبقار مندفعة كالرعد نحو «مارلى» و«الأم» بنفس الطريقة السابقة، لكنها توقفت بعيداً فجأة بطريقة سحرية، ولم تستغرق وقتاً طويلاً لمعرفة مكان تثبيت السور المكهرب. ظهر عليها الحزن واعتقدت «مارلى» أن ذلك ربما لعدم مقدرتها على الاقتراب لرؤية ما كانت تقوم به.

